

اسم المادة: في الطريق

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: في الطريق
من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد؛ حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ولقاء جديد مع "وقفاتنا التربوية مع السنة النبوية".

وكنا في لقائنا السابق توقفنا مع ملمح مهم من ملامح التعامل مع الشريعة الغرَّاء؛ ألا وهو مكانة الإنسان، مكانتك أنت كعبد لله - سبحانه وتعالى- في ظل هذه الشريعة، وازاي إن هذا الملمح يحتاج منا إلى تركيز، إلى تدبر، إلى فَهم عميق، وازاي إن الإنسان فعلًا بتتغير علاقته مش مجرد بس بعلاقته بالشريعة، علاقته بكل ما حوله، عندما

يدرك هذه المنظومة المتكاملة التي جاءت من لدن حكيم خبير، وحابب إن أنا أستكمل أيضًا هذه الفكرة في هذا اللقاء.

وهنبدأ فيه أيضًا مع حديث نتوقف معه وقفة تدبرية:

عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إيَّاكُمْ والجُلُوسَ بالطُّرُقاتِ فقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، ما لنا مِن مَجالِسِنا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فيها، فقالَ: إذْ أبَيْتُمْ إلَّا المَجْلِسَ، فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيقِ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأذَى، ورَدُّ السَّلامِ، والأمْرُ بالمَعروفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ.[١]

طبعًا يعني هذا الحديث أيضًا من الأحاديث التي لها الكثير من الجوانب؛ سواء من الناحية الفقهية ونحو هذا، لكن هناك أيضًا ملمح لأستكمل بها الفكرة التي بدأناها؛ ملمح علاقة الشرع بيك وعلاقتك أنت بالشرعِ، ملمح عظيم جدًا يعني ازاي إن أنت لو نظرت إلى هذا النص وهو نص –لاحظ– نص تشريعي، ودي برضه نقطة حابب أشير إليها كويس، لما يأتيك نص من الشرعِ، كلام الشرعِ؛ سواء في القرآن أو في السنة، يختلف عن كلامنا نحن، يعني احنا في كلامنا بتبص تلاقي يعني

[١] صحيح البخاري

كلامنا خليط ما بين الجد والهزل، كلامنا ممكن يكون فيه أشياء فعلًا بنقصد فيها معاني عظيمة وأشياء أخرى لا نقصد فيها إلا مجرد مثلًا كلام عادي من أمور الحياة العادية، أو أحيانًا كلام فيه شيء من الهزل ونحو هذا، لكن عندما نتعامل مع النص الشرعي، النص الشرعي لابد أن تضعه في هذا المنظور العظيم، هذا نص من الشرع، كلام تشريعي، فالشرع لا يأتي إلا بالأمور العظيمة، أمر الشريعة أمر عظيم، فعندما يأتيك النص الشرعي يتكلم عن شيء معين لابد أن تنظر أولًا من منظور: أن هذا هو الشرع وهذا كلام الشرع، قبل أن تتكلم على التفاصيل الجزئية التي سوف تتناولها.

فكرة ان ازاي الشرع صان العبد المؤمن، وازاي إن هو جعل له مكانة عظيمة، وازاي إن هو جعل كل ما يَمس الإنسان المؤمن له اعتباره، كل دا أمر عظيم، لو كملت بقى الفكرة، شوف ازاي هذا الشرع أتى بنص تشريعي يصون لك الطريق الذي ستسير فيه، مجرد الطريق اللي أنت هتعبره في حياتك كان له نص تشريعي نزل به ينظم من شأنه، تاني القط الفكرة؛

احنا بنتكلم علي كلام من مشكاة الشرعِ، مش كلام من أمور الحياة اللي ما بينا الأمور العادية، كلام ورد على لسان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بنضعه في هذا الموضع التعظيمي، ثم تنظر ازاي هذه الشريعة العظيمة تناولت هذه الجزئية، ازاي إن الشرعِ اهتم حتى بالطريق العام اللي أنت هتمشي فيه، ازاي إن الطريق بتاعك كان له نص تشريعي ينظِّم من شأنه، ازاي إن الشرعِ اهتم حتى بهذا الجانب من جوانب حياتك اللي هو جانب عادي جدًا، بل يمكن جانب عابر جدًا في حياتك وأنت محدش فينا هينزل يقعد في الشارعِ، لكن أنت بتمر في الشارعِ بتاعك دا ممر عابر، لقطة ما بتاخذش من عمرك إلا لحظات، أنت عمرك، بتبقى قاعد في بيتك، قاعد في شغلك، يعني لك مكان مثلًا مستقر فيه، الشارعِ بيساوي ايه في حياتك؟ عبارة عن ممر، ممر عابر، الممر العابر دا مكنش مهمل، الشرعِ اهتم بإنه ينظم لك هذا الممر، وازاي إن أنت فيه هتمر، وازاي إن مرورك العابر دا يكون على الحال الذي ترضاه أنت ولا يكون فيه أي إيذاء لك، تخيل! الطريق له حق؛ "فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ".

يعني لما تفهم دا وتضعه في الإطار اللي احنا عاوزين نركز فيه ونتدبر فيه هتقدر تنتقل إلى كلية الشريعة، الأمور الكلية بقى في الشريعة، ازاي الشرع راعى كل أمورك، الصغير والكبير، الأمور اللي تَمَسَّك في داخل وخاصة نفسك والأمور الخارجية، الأمور اللي بتمَسَّك وأنت في بيتك، أنت في شغلك، أنت في علاقاتك مع الناس، حتى -لاحظ دي- حتى الممر العابر اللي أنت هتمر فيه، مكنش دا عابر في الشرع، كان محل اهتمام، كان محل يعني نزول نص تشريعي ينظِّم هذا الممر العابر.

والله اللقطة دي فعلًا محتاجة مننا مزيد من النظرة التدبرية، ازاي إنك تنظر إن أنت كعبد أنت عبارة عن جزء من منظومة كبيرة اسمها "منظومة العبودية"، ازاي إن هذا الشرع وضع هذه المنظومة اللي فعلًا لما تنظر لجزئياتها وتربطها في مزيج كلي يجمعها هتخرج بالمفهوم اللي احنا عايزين نتكلم عليه، مفهوم أن تكون هذه الحياة عبودية لله -سبحانه وتعالى- ، ازاي إن هذا الدين أتى بمنظومة تشريعية متكاملة، ازاي إن هذه المنظومة التشريعية لم تهمل أي صغيرة ولا كبيرة، بل وازاي إن أنت تفهم إن الشرع اللي اهتم بدا يبقى نقلك ذهنيًا إلى ما هو أعظم، ازاي إن الشرع اللي اهتم بالشارع اللي أنت هتعدي فيه بيكون على الحال اللي

يرضيك ويرضي الآخرين، وازاي إن أنت في هذا الممر العابر لا أنت هتمتد ايدك ولا نظرك ولا لسانك بالأذى للآخرين ولا الآخرين سيكون منهم الأذى لك.

فتخيل أنت بقى لما تخش كدا في الإطار الفكري العام، ازاي إن لو فعلًا المظلة التشريعية دي كلنا قعدنا في ظلها، يا ترى الحياة هيبقى شكلها عامل ازاي؟

دايمًا في الفكرة الفلسفية بيناقشوا قضية المدينة الفاضلة، ازاي إن الفلاسفة قديمًا –خاصة فلاسفة اليونان– كان عندهم هذا الهم الشاغل، ازاي إن احنا نضع يعني منظور المدينة الفاضلة، المدينة الفاضلة دي هيبقى شكلها عامل ازاي، ويا ترى إيه هي القواعد اللي هتحكمها؟ ويا ترى ايه هي المنظومة العامة اللي ممكن تنظم لنا هذه اليوتوبيا اللي بيتكلموا عليها؟

وظلت هذه الفكرة شاغلة لأذهان الفلاسفة والمفكرين حتى وقت متأخر، يعني بعض المفكرين حاولوا إن هم يطبقوا فكرة المدينة الفاضلة وفعلًا عملوا من حوالي ٨٠٠ سنة أكثر من تجربة في أكثر من مكان

للمدينة اللي بتسمى المدينة الفاضلة، هل يا ترى نجحت على المستوى الفكري أو المستوى التطبيقي؟ أبدًا، حصل فشل، فشل ليه؟ لأن الإطار الجامع اللي وضعوه كان إطار فكري بشري، الإطار الفكري البشري مهمًا كان، مهما حاولت إن أنت تصل به إلى حد الكمال سيظل قاصرًا، لو شلت المنظومة دي كدا وابتديت تتأمل في المنظومة التشريعية هتجد إن هذا التشريع مش عملّك بس المدينة الفاضلة دا عمَلَّك الحياة الطيبة، عملك فعلًا منظومة، هذه المنظومة طُبِّقت بالفعل، يعني هي مش خيال ومش مجرد فكرة عابرة كدا مرت في ذهن أحدهم، لا منظومة تشريعية من لدن حكيم خبير، وتم تطبيقها بالفعل ورأينا هذا التطبيق عمليًا في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، وحياة الصحابة الذين تربوا على هذه المنظومة، المنظومة الكلية الجامعة.

الحياة اللي احنا بنقاسيها الآن وعايشين في يعني مشاكلها وآلامها هي عبارة عن المنظور العكسي اللي بيسموه برضه في الإطار الفلسفي "الديستوبيا" فكرة المدينة الفاشلة، احنا بنعيش في الديستوبيا دي، فكرة إن احنا خالفنا الشرع، لم نطبق الشرع، ولما طبقنا الشرع طبقناه التطبيق الجزئي وليس التطبيق الكلي، لما تيجي تنظر إلى ما ينقصنا

ستجد كل ما ينقصنا موجود فعليًا في هذا الإطار التشريعي الجامع، ازاي إن كل شيء بيمسَّك داخليًا وخارجيًا في كل الدوائر المحيطة بيك تم تنظيمه وتم وضع الأسس والأطر اللي تحرسه سواء بتشريعات جزئية أو بقواعد كلية.

الشرع اللي حافظ لك على الشارع اللي أنت هتمر فيه يقينًا هو اللي حافظ لك على كل حاجة في حياتك، وكل شيء بيشغلك في كل جزئيات حياتك، ومش بس كدا ربطلك كل هذه المنظومة في إطار تعبدي لله -سبحانه وتعالى-، فصار هناك حفظ للدين، حفظ للدنيا، حفظ ليك لما تشغل دنياك بهذا الدين، فتبقى أصلحت من حياتك وكل دا مردوده معاك بعد كدا في الآخرة، فيظل الإنسان المؤمن على حال من الكسب الدائم؛ يكسب في دنياه ويكسب في آخرته، وبرضه ناخد منظور آخر، حديث أيضًا آخر يعني يكمِّل فكرة التعامل مع الطريق؛ "عن أبي برزة الأسلمى قال: قُلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شيئًا أَنْتَفِعُ به، قالَ -صلى الله عليه وسلم-: اعْزِلِ الأذَى عن طَرِيقِ المُسْلِمِينَ". [٢]

[٢] صحيح مسلم

نفس الكلمة، احنا لسا بنكلم على ايه؟ على قضية الطريق اللي أنت هتعدي فيه، بس أنا عايزك تتدبر معايا شوية كدا في الحديث، أنا عايزك تتخيل كدا رجل جاء للنبي –صلى الله عليه وسلم– يطلب منه ماذا؟ يطلب منه النصح، يطلب منه الإرشاد، يا رسول الله علمني شيئًا، يعني هو طلب منه ايه؟ شيء واحد، طب والإجابة؟ الإجابة كانت بشيء احنا في منظورنا شيء بعيد جدًا عن السؤال فيما يبدو لنا، يعني إنسان بيطلب من النبي –صلى الله عليه وسلم– شيء واحد ينتفع به، في أحد الروايات: علمني شيئا يُدْخِلْنِي الجنة، فتأتي الإجابة: "اعْزِلِ الأَذَى عن طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ"

أنت عارف أبواب البر؟ أبواب البر كثيرة جدًا وعظيمة جدًا، أنت لو قعدت، أنا أتخيل كدا، كل واحد منا مسك ورقة واتسأل السؤال دا: يا ترى إيه أعظم عمل ممكن يدخل الإنسان الجنة؟ أو ايه لو حاجة أنت عايز تركز عليها عشان تخش الجنة؟ كل واحد منا هيبقى له إجابة، بس يقينًا كلنا هنشترك في ايه؟ هنشترك في حاجة معينة؛ إن فكرتنا للعمل اللي يدخَّل الجنة هو عمل عظيم جدًا، أنا واحد من الناس مثلًا أتخيل

إن العمل العظيم دا يكون: استخراج الوُسع في العبادة، الجهاد في سبيل الله، إنفاق المال في سبيل الله، يعني عمل كبير جدًا، عمل علشان أتخيل إن أنا أدخل الجنة –وأمر الجنة أمر عظيم– لابد أن يكون أيضًا السبب اللي الإنسان هيتعامل معاه عشان يخش الجنة لازم يكون برضه عظيم جدًا، فبناءً عليه أنا عندما أتخيل إن فيه واحد هيطلب من النبي –صلى الله عليه وسلم– عمل واحد بس يركز عليه عشان يخش الجنة، أنا متخيل إن لابد إن هيكون هذا العمل اللي هيرشده إليه النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا عمل عظيم جدًا.

فكرة بقى العمل العظيم جدًا في دماغي مش هي دائمًا نفس فكرة العمل العظيم في منظور الشرع، فيه فارق كبير جدًا في مستوى الفهم بتاعي والتطبيق، وما بين مستوى التقصير الشرعي.

فكرة ازاي إن أعمال الخير أصلًا أنا لما بنظر إليها، أنا بنظر إليها من منظوري أنا، بمنظور تفكيكي شوية، يعني أنا حاطط كل واحد كدا في خانة لوحده وعمال ذهني عمال بيقسم آه دا حاجة يعني مش أوي، دا حاجة عظيمة جدًا، دا حاجة كويسة جدًا، ففكرة منظور أعمال البر بالنسبالي هي عبارة عن مجموعة من المسائل المتناثرة كل واحد في حتة،

لما تيجي بقى تنظر بالمفهوم اللي أنا عايز أركز عليه، ازاي إن الإطار التشريعي العام ربط كل هذه الجزئيات في إطار جامع اسمه "إطار الحياة في كنف الشرع" "والإطار الحياة التعبدية لله –سبحانه وتعالي–"

النبي –صلى الله عليه وسلم– لما سئل نفس السؤال، واحد يأتي للنبي –صلى الله عليه وسلم– ويقول له: دلني على عمل، هل يا ترى كانت إجابة النبي –صلى الله عليه وسلم– واحدة؟ لأ

كل واحد سأل السؤال ده، النبي –صلى الله عليه وسلم– أجابه بإجابة مختلفة، أحيانًا كان يقول الإجابة عبارة عن عمل واحد بس بيرشد إليه النبي –صلى الله عليه وسلم–؛

مثلًا الصحابي الجليل ثوبان سأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُه يُدْخِلني اللهُ بِهِ الجنَّة، فقال: "عليك بكثرةِ السجودِ، فإنك لا تسجدُ للهِ سجدةً إلا رفعَك اللهُ بها درجةً، وحطَّ بها عنك خطيئةً"[٣]

أيضًا عندما جاء الصحابي الجليل أبو أمامة وسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا السؤال: "مُرْنِي بِعَمَل"، وفي رواية: " مُرْنِي بِعَمَل آخذه

[٣] صحيح مسلم

عنك ينفعني الله به، فقال –صلى الله عليه وسلم–:"عَلَيْكَ بِالصَّوْم فَإِنَّه لا عِدْل لَه"[٤]، حاجة ملهاش مثيل.

يبقى فيه بعض الأحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– أرشد هذا الصحابي لعمل واحد، وفيه هناك أحاديث أرشد النبي –صلى الله عليه وسلم– لعدة أعمال؛ عن أبي أيوب قال: "جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ –صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ–، فقال: دُلَّنِي على عَمَلٍ أعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الجَنَّةِ، ويُباعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصِلُ ذا رَحِمِكَ. فَلَمَّا أدْبَرَ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنْ تَمَسَّكَ بما أُمِرَ به دَخَلَ الجَنَّةَ"[٥]

جاء رجل آخر أيضًا فقال: يا رسول الله أنبئني بعمل إن عملت به دخلت الجنة، فقال –صلى الله عليه وسلم–:"أفشِ السلامَ وأطبِ الكلامَ وصلِّ بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلِ الجنةَ بسلامٍ"[٦]، لاحظ نفس السؤال والإجابات متعددة، أحيانًا الإجابة بعمل واحد، أحيانًا بأكثر من عمل.

---

[٤] صحيح النسائي
[٥] صحيح مسلم
[٦] صحيح الترغيب

فالفكرة العامة إن منظورنا احنا لمثل هذه الأعمال منظور ممكن يكون مش مستوعب أوي الفكرة، مش مستوعب الفَهم، لا على المستوى الخاص في كل إنسان، ازاي إن فيه واحد هيسأل سؤال فتأتيه إجابة واحدة، ولا على المنظور العام اللي هو ازاي إنك تفهم مفهوم العمل في الشريعة ومفهوم الشريعة عندما تحرص على هذه الأعمال.

لكن نرجع تاني أيضًا للمشهد الذي بدأنا به، مسألة إماطة الأذى عن الطريق؛ الأذى دا سواء أذى معنوي بيكون عن طريق أذية الناس مثلًا لبعضها البعض، وإزالة الأذى الحسي، يعني إماطة الأذى أصلًا عن الطريق –لاحظ– الشرع وضع لها يعني قيمة عالية جدًا.

تعال كدا نقرأ بعض الأحاديث اللي وردت بس عن إماطة الأذى عن الطريق، يعني عندما أقول لك إيه مفهوم أو إيه منظورك أنت لإن واحد يشيل شيء من الأذى، أنت معدي لقيت مثلًا طوبة في الطريق، حتة إزازة مكسورة في الطريق، أنت منظورك ايه لإزالة هذا الأذى عن طريق الناس؟

طبعًا كلنا هنقول دي حاجة كويسة، طب ايه رأيك إن الشرع مقالش عليها بس حاجة كويسة، الشرع وضع هذا الأمر –إزالة الأذى– وضعه

في حيز أنه باب مش بس من أبواب البر، دا عبارة عن شعبة من شعب الإيمان؛ عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ. [٧]

تخيل إماطة الأذى دهو مش مجرد بس عمل دا شعبة من شعب الإيمان، شوف الكلمة شعبة من شعب الإيمان، أنا عايزك تتخيل يعني موقع هذا الأمر عندما يتعلم الإنسان إن هذا العمل من إيمانه.

ثم هذا العمل له موقع عظيم، حتى إن إماطة الأذى رُبِط بأجر عظيم ألا وهو دخول الجنة؛ فعن أبي هريرة –رضى الله عنه– أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ، فأخَذَهُ" –نحاه يعني–" فأخَذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له. [٨]

وفي لفظ: "مرَّ رجلٌ بِغُصنِ شَجَرةٍ على ظهرِ طريقٍ، فقَالَ :واللهِ لأُنَحينَّ هذا عَنِ المسلمينَ لا يُؤذِيهم، فأُدْخِلَ الجنَّةَ" [٩]

---

[٧] صحيح مسلم
[٨] صحيح البخاري
[٩] صحيح الجامع

وفي لفظ قال –صلى الله عليه وسلم–:" لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ"[١٠]

يا ترى ايه موقع النصوص دي علي قلب الإنسان المؤمن؟ عمل زي دا من الإيمان، عمل زي دا، عمل عظيم في هذا الشرع، عمل زي دا عمل يدخل الإنسان به الجنة، شوف اللفظ "يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ"، يعني تستشعر إن هو بيأخذ أجر عظيم جدًا في الجنة بمثل هذا العمل اللي بالنسبة لنا احنا في منظورنا احنا عمل بسيط جدًا، إيه يعني شوية أذى اتشالوا؟ ايه يعني حاجة يعني ممكن أصلًا يكون هذا الأذى مش أذى عظيم أوي برضه في نظرنا، يعني مثلًا غصن شجرة إيه المشكلة ما هو الواحد ممكن يعدي من فوقه وخلاص وانتهت القصة، لأ، هي مش مجرد بس اللقطة الصغيرة اللي أنت شايفها دي، هذا العمل عندما تربطه بهذه المنظومة الكلية هتفهم يعني إيه آحاد الجزئيات اللي احنا بنتكلم فيها، دي منهجية، منهجية كلية، منهج عظيم وضعه الشرع لك ولغيرك.

---

[١٠] صحيح مسلم

ازاي إن أنت هتكون عبد لله في عبوديتك لله، وعبد لله في تعاملك مع الآخرين، عبد لله في تعاملك مع الشريعة كليًا، وعبد لله في تعاملك في جزئيات حياتك.

ازاي إن أنت هيكون هناك مثل هذا الأثر العظيم لتطبيقك لهذه الشريعة في الأمور الصغيرة جدًا في نظرك واللي هيكون هذا المنطلق أكيد منطلق أكبر، يعني لا يُتَخيل إن فيه إنسان بيتعبد لله بإزالة الأذى عن الطريق ويقر في قلبه إن إزالة هذا الأذى الصغير من طريق المسلمين عمل هو من شعب الإيمان وعمل يدخله الجنة وفي نفس الوقت هيكون في فهمه إن ممكن يؤذي الناس بما هو أكثر من ذلك، دا لا يمكن يكون بيفهم، لا يمكن يكون عنده ذرة عقل، لو فهم إن الشرع طلب منه إن هو يعني يشيل طوبة من الطريق وبعد كدا يروح يحدف الناس بيها، دا لا يمكن يكون إنسان عاقل، زي برضه نفس الفكرة؛ فكرة ازاي إنك تهضم إن يأتي نص ويقول: أن امرأة بغي من بني إسرائيل سقت كلبًا فأدخلها الله الجنة، ازاي إن امرأة بغيٍّ وهي تحترف الزنا –والعياذ بالله– يكون سُقيا الكلب سبب لدخول الجنة، ما هو أنت مش لاقط برضه، هو أكيد مش مجرد شربة الماء التي سقت بها الكلب كانت هي السبب في دخول

الجنة، فيه هناك عمل قلبي، فيه هناك تعبد لله –سبحانه وتعالى–، فيه هناك شيء في داخل قرارة نفس المؤمن هذا هو الذي يجازى به، والعمل هو منظور أو هو الظاهر الذي ينبئ عن حقيقة الباطن في تعبد العبد بهذا العمل.

نرجع برضه يعني لشيء برضه تفصيلة كدا من التفاصيل اللي واحنا بنتدبر في نصوص الشرع، شوف معايا كدا الحديث دا: عن ابن عمر –رضى الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِن مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ. [١١]

سبحان اللَّه، أيضًا زي ما بقولكم أنا أهو النصوص هذه هتلاقينا احنا في الغالب طبعًا بندرسها بندرس الأحكام التشريعية الخاصة بها، لكن مبنلاقيش الوقت الكافي إن احنا نتدبر فيها من هذا المنظور، منظور النظرة الكلية يعني للتشريع.

موقف عابر من مواقف الحياة، واحد مثلًا حابب يقعد في المسجد في مكان معين، في مجلس بنجتمع فيه له مكان معين، رجل بيعتاد منطقة معينة بيقعد فيها، فجه لقى واحد ثاني قعد في المكان اللي هو معتاده،

[١١] صحيح مسلم

المكان اللي هو بيحبه، المكان اللي هو عايزه، ينفع يقومه من هذا المكان ويقعد فيه؟

لما تيجي تبص كدا من منظور بشري مجرَّد دا حاجة يعني بسيطة، يعني واحد قاعد والتاني عايز يقعد مكانه يعني حاجة، حاجة مهاش كبيرة أوي، الحياة فيها ما هو أكثر طبعًا، نرجع تاني ونشوف ازاي إن الشرع اهتم بقى بهذا الموقف العابر واللقطة العابرة دي في حياتنا، اتنين واحد قاعد والتاني عايز يقعد في نفس مكانه، خلاص يعني حاجة يمكن بسيطة جدًا، لكن في منظور الشرع هذا الأمر احتاج أن ينزل فيه نصٌ تشريعي، أن يتكلم لسان الشرع بهذا الموقف؛ ليحدد لك كيف نتصرف فيه، سبحان الله العظيم!

شوف التنظيم والإحكام التشريعي ازاي إن الشرع راعى مثل هذا الموقف اللي ممكن برضه في حياتنا يكون موقف مش مهم أوي، موقف عابر جدًا، ممكن فيه مواقف طبعًا أكبر من كده بكتير وأهم من كده بكثير، لكن لما تيجي تنظر بقى للمنظور الكلي هتفهم ازاي إن هذه الحياة اللي بنعيش فيها لم تُترك هكذا، لما يكون عندنا مثل هذه الدقة التنظيمية في تعاملاتنا مع بعضنا البعض، وازاي إن احنا نراعي بعضنا

البعض، وازاي إن الشرع اهتم حتى بالمواقف العابرة في حياتنا مع بعضنا البعض، هتفهم ازاي نقدر إن احنا ننظم ما هو أهم وما هو أعلى، لفتة جديدة في الأفق التدبري.

أنت إيه، أنت يا عبد الله في ميزان الشرع، ازاي إن الشرع اهتم بجزيئات حياتك، اهتم حتى بالمواقف العابرة، معدي في الطريق، جاي تقعد، كل ده الشرع اهتم به، مجرد مجلس عابر في حياتك الشرع اهتم به ونظمه لك، ومن اللي يقعد ومن اللي ميقعدش، ومن اللي يعمل ومن اللي ميعملش، ازاي إن ممكن حاجات صغيرة في حياة الإنسان ممكن تعكر من صفوه وصفو علاقته بالآخرين، الشرع يقطع هذا الأمر ويقفل ويسد هذا الباب تمامًا، أي باب ينفذ منه الشر لك أو لغيرك، اللي هيفهم دي هيفهم ازاي يتعامل فيما هو أكبر.

زي بالظبط برضه اللي هيفهم ازاي إن الشرع اهتم جدًا بمسألة إن احنا ننتظم في صف واحد، واحنا نقف بين يدي الله –سبحانه وتعالى– بالصلاة، هل يا ترى الشرع اهتم بس باللي احنا نقف في هذا الصف لمجرد إن احنا نقف زي قوالب الطوب المرصوصة وخلاص؟ ولا دا له

منظور آخر؟ منظور تدبري؟ وله انعكاس في أمر آخر، في ازاي إن احنا نكون أيضًا في حياتنا مثل هذا البنيان المرصوص، المؤمن للمؤمن كده كتف بكتف، ونقف مع بعض صف واحد في حياتنا.

كثير جدًا من المشاهد التشريعية محتاجة مننا هذا المنظور، محتاجة مننا ازاي ننظر منه ونخرج منه بهذه النظرة اللي تخرج منها بمنهجية في حياتك، بل سبحان الله يعني مش مجرد بس دا لو واحد قعد في مجلس ثم قام منه آه الشرع يقول لك ازاي نتصرف، ازاي إن لو واحد قام من مجلس وعاد إليه هو أحق به، خلاص معدش، يعني زي بالضبط بتحصل عندنا في المسجد، يعني واحد قاعد في مكان وقام يتوضى ورجع، دا الشرع يحفظ له مكانه، يا ترى دي محتاجة فعلًا إن الشرع يتكلم في حاجة زي كدا؟ آه، محتاج إن هي تتنظم، علشان هي لما دي هتتنظم غيرها فيما هو أكبر هيتنظم، ولو أنت فهمت حقوقك وحقوق الآخرين، لو راعيت دي هتراعي ما هو أكبر، ولو انتظمت النقطة دي هينتظم في حياتك ما هو أكبر، ولو تربينا على هذه الأمور بالنقاط الصغيرة دي هتنتظم حياتنا فيما هو أكبر.

شوف مردود النص التشريعي ده على حياة الصحابة؛

كان ابن عمر –رضي الله عنه– إذا قام له رجل من مجلسه لا يجلس، شوف أنت بقى مردود النص على الحياة العملية، هو هنا، هو مقومش حد، هو مقالش لحد قوم، إنما هو داخل فواحد قاعد في مكانه فحب يقوم إكرامًا له ويقعده، مكانش يقعد، ميرضاش، عارف ليه؟ لأنه اتربى على ده، اتربى على تعظيم حق الآخرين.

طب ما الثاني محدش أجبره، ده هو قام من نفسه! قال لك: علشان ميكونش من جواه هذا الإنسان اللي قام ده، ممكن يكون قام إحراجًا مثلًا، يعني هو محرج من مكانة عبد الله بن عمر فحب إنه هو يقوم ويكرمه، لأ، ميرضاش حتى إنه ياخد منه حاجة على سبيل إن هو جاي محرَج مثلًا.

تخيل أنت بقى يعني نزل أنت الأمور الجميلة اللي احنا بنتكلم فيها دي على واقعنا وهتشوف أد إيه فيه انفصال ما بين هذا الأفق التشريعي العظيم وما بين حياتنا.

النقطة اللي عايز أركز عليها في هناك الكثير والكثير مما ينقصنا، قبل ما نتكلم على اللي بينقصنا في حياتنا، عايزين نفهم ايه اللي ناقصنا في المنهج اللي هنتعامل به في حياتنا، في الوقت اللي هنفهم فيه هذا المنهج

ونهضمه هنعرف ازاي نطبقه، هنتعب لحد ما نطبقه، بس بإذن الله سنجد مبتغانا فيما بين أيدينا، احنا مش محتاجين إن احنا ندور شرق وغرب، مش محتاجين إن احنا نجتهد كثير جدًا في إرساء قواعد، إنما محتاجين إن احنا ننفض التراب على ما بين أيدينا من هذه الكنوز، عندما نفهم ونعقل ونتدبر ونعمل ستختلف حياتنا كثيرًا وكثيرًا.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وإلى لقاء آخر إن شاء اللَّه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.